فكرة حقوق الإنسان في الديانات او الشرائع السماوية :

أذا أردنا التطرق لحقوق الإنسان في الديانات السماوية ، يجب أولا" : التمييز بين الأديان (اليهودية ، المسيحية ، الإسلام) كأديان ساهمت في تأسيس الوعي بحرية الإنسان وحقه في العيش الحر الكريم وتحريره من كل القيود ، حيث ان هذه الأديان ذات المصدر الواحد جعلت الإنسان هو مدار الكون ومناط التكريم بصفته الإنسانية ويجب ان نفرق بين تاريخ تطبيق هذه الديانات على حياة المجتمعات وما رافقها من تطرف وإجحاف في حق المخالفين في الرأي والمعتقد والمذهب (وهذا حتى ضمن الدين الواحد)

١ – الديانة اليهودية :

غرست اليهودية في نفوس أتباعها اعتبارات المصلحة القومية ، وقواعد العناية بالشعب ومصائره ونادت بالجزاء على الفضيلة والعقاب على الرذيلة ، هذا بالنظر إلى الديانة اليهودية في أصولها الأولى لكن النظر لما شابها من التحريف في نصوصها فأن استناد اليهود إلى نصوص التوراة المحرفة والى ما جاء في التلمود الذي يعتبر شريعة بني إسرائيل العليا قد جعلوا من شعبهم شعب الله المختار وفي هذا يظهر اليهود على أنهم فضلوا أنفسهم على كل شعوب الأرض وهذا يعد أقرار منهم على عدم وجود مبدأ المساواة عندهم كما يعد هذا تكريس للتمييز والتفاضل بين البشر الذي يمثل في الحقيقة صورة من صور انتهاك حقوق الإنسان ويزداد ذلك وضوحا" من خلال أباحة الإسرائيليين قتل غيرهم وغزوهم للشعوب الأخرى (حسب تأويلهم للكتاب المقدس) .

ان الممارسة الدينية اليهودية بهذه المفاهيم المبنية على العنصرية لا يمكن اعتبارها ديانة سماوية ومن ثم فهي بعيدة عن مبادئ العدل والمساواة واحترام الحقوق الطبيعية للإنسان

.

٢- الديانة المسيحية :

ولدت المسيحية في فلسطين وانتشرت بسرعة في أطراف الإمبراطورية الرومانية وكان ظهورها في مجتمع سيطرت فيه الأوهام والأساطير وتحكم فيه الظلم والاستبداد وسادت فيه العبادة الوثنية مما دفها إلى دعوة أتباعها إلى رفض سيادة الأباطرة والى الفرار بعقائدهم من سلطان الدولة ودعت إلى حرية العقيدة وميزت بين الفرد بوصفه مواطنا" وتدعو إلى أقامة العدل والمساواة بين الناس بصرف النظر عن الفوارق الاجتماعية لان الناس جميعا من خلق الله لا فرق بينهم وسوف يحاسبون أمامه عن أعمالهم في العالم الأخر وهذا ما أدى إلى شغف وتعلق عامة الناس بها في الدولة الرومانية .

ومع أن المسيحية لم تحمل في بدايتها نظاما" او فكرا" سياسيا" محددا" وكان اهتمامها في نطاق المسائل الدينية آذ دعت إلى الفصل بين السلطتين والزمنية وفقا" لمقولة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ألا أنها لم تسلم من بطش أو إرهاب السلطة في الإمبراطورية الرومانية حتى اعتراف الدولة بها في القرن ١٤ م مما أدى إلى انتشارها بشكل واسع ومن ثم اعتبارها الدين الوحيد المسموح به في الإمبراطورية الرومانية .

لقد كان للمسيحية فضل مبدأ ازدواج السلطة اذ توجد سلطتان دينية وزمنية وكان هذا الازدواج عاملا مهما ساعد في قيام الفلسفة التحررية في الجانبيين السياسي والاقتصادي من خلال منع السلطة في التدخل بحرية الأديان او الحرية الشخصية للأفراد . إلا أن أسهام الديانة المسيحية

في إرساء اللبنة الأولى للفلسفة التحررية انتكس عندما حاول رجال الكنيسة أحلال السلطة الدينية محل السلطة الزمنية .

وإذا انتقلنا إلى البحث عن حقوق الإنسان لدى العصر المسيحي فأن كثيرين يعتبرون رسالة المسيح مثلث حدا" فاصلا" بين عهدين ، عهد قديم لا يرى الإنسان إلا من خلال الدولة ويعده عنصرا" خاضعا" لها" ، وعهد جديد يمجد الإنسان ويرفعه إلى المرتبة الأولى والاعتبار الأهم فقد خلقه الله على شاكلته ونفخ فيه من روحه ومكنه من الارتفاع إلى مرتبة القديسين في الجنة وكما يرى الفيلسوف الفرنسي برغسون فأنه لم يكن بد من الانتظار حتى تظهر المسيحية لكي تصبح فكرة الإخاء العام تلك الفكرة التي تتضمن المساواة في الحقوق واحترام الشخصية البشرية فكرة فعالة وان رسالة المسيحية هي التي انتقلت بعد ثمانية عشر قرنا" من الجهود إلى إعلان حقوق الإنسان الا ا ن آخرين يعتقدون خلاف ذلك ويعتبرون ان مثل هذا القول يصطدم بكل الحقائق الثابتة لأن الإمبراطورية المسيحية والقرون المسيحية كانت ابعد ما تكون عن الانطلاق نحو الحرية والمساواة ، والقرون الوسطى على مجموعها لم تفتح النوافذ لفكرة حرية الضمير او الحرية السياسية او المساواة في الحقوق .

٣- الديانة الإسلامية :

ظهرت الديانة الإسلامية في القرن ٧م بعث الله النبي محمد (ص) وعبر الإسلام عن العقيدة (بالأيمان) وعن الشريعة بالعمل الصالح واوجد الإسلام نظما" متكاملة لمعالجة شؤون الدين والدنيا ويعد القران والسنة المصدرين الأساسيين للنظرية السياسية في الإسلام .

وتقوم تلك النظرية على مبادئ خمسة هي : العدل ، المساواة ، الشورى ، التعاون بين الحاكم والمحكوم ، ومراعاة أصلاح المجتمع وحمايته من الرذائل . وقد رفعت الشريعة الإسلامية من

مكانة الإنسان ونصت على مبادئ سامية وقواعد عامة تحث على تقدير الإنسان واحترام حقوقه وحرياته فقد حرص الإسلام على كفالتها من خلال أقراره للمبادئ فقد ظهر الاسلام في حقبة كان يسود فيها الظلم والاستبداد والقهر والانتهاك لكرامة الانسان وحقوقه، فكانت آيات القرآن الكريم هدى للبشر بعد ضلالهم وطغيانهم بصورة تضمن للإنسان انسانيته وكرامته وعرضه وممتلكاته. فكانت رسالة السماء واضحة كل الوضوح على صعيد احترام حقوق الانسان، أذ نادت بضرورة تحرير الانسان من العبودية فأقرت مبادئ الحرية والعدالة والمساواة ومنع التمييز، وقد كانت نظرة القرآن الكريم والشريعة الاسلامية الى مسألة حقوق الانسان تمثل ارادة الله وعدله على الارض.

وبناءً على ما تقدم كان للحضارة الاسلامية المتمثلة بكل جوانبها((القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والعترة الطاهرة)) الاثر المهم والبارز في تطوير وأنضاج وعي الانسان بحقوق وحريات الاساسية من خلال اقراره مبادئ تعد الركيزة الاساسية لأي نظام اجتماعي قانوني بشري فعلى الرغم من اجحاف الغرب وعدم انصافهم للجهود الاسلامية في تطوير مفهوم حقوق الانسان. اذ تكاملت الصيغة النهائية لدستور حقوق الانسان بتكامل النظرة الاسلامية للحقوق مع الدساتير والشرائع السماوية الاخرى التي اولت تلك الحقوق اهتماماً عظيماً أنطلاقاً من مبدأ تكريم الانسان خليفة الله في الارض لإنسانيته التي لا تكتمل ألا بعد ان تتحقق له الحقوق والحريات الموجبة لكرامته ولفطرته البشرية.

فحقه في الحياة والعقيدة((التدين)) وحرية التفكير والتعبير عن الراي والعدل والمساواة والسلام وعدم الاعتداء وحب الفضيلة وازدراء كل ما من شانه التقليل من كرامته. وهذه الحقوق مكفولة من الله لأنها شرع الله سبحانه وتعالى ،لا بل يجب ات تكفلها كذلك القوانين الوضعية.

اما اذا اغتصبت هذه الحقوق وصودرت تلك الحريات فذلك يعني تفشي الظلم والطغيان وما يترتب على ذلك من اضطهاد ومعاناة للأمم والشعوب وكل ذلك يعني الاخلال بالنظام السماوي القائم على احترام الانسان وحفظ كرامته.

واستناداً الى حقوق الانسان في الاسلام فقد اشر المفكرون الاسلاميون مزايا مهمة لهذه الحقوق ومنها:-

١. ان الاسلام اضفى على حقوق الانسان قدسية تتعالى بها على سيطرة الملوك والحكام الذين قد يتلاعبوا بعا كيف ما يشاؤون.
٢. ان الله تعالى هو مانح هذه الحقوق وهو الاعلم بحاجات الانسان الذي خلقه وكلفه بالاستخلاف. لهذا اكتسبت هذه الحقوق والواجبات بعداً انسانياً يتجاوز الفروقات الجنسية والجغرافية والاجتماعية والعقائدية.
٣. حمل الاسلام كل فرد مسؤولية حماية هذه الحقوق بوصفها واجباً انسانياً ودينياً على كل انسان.

وفي حقيقة الأمر فإن الإسلام قد سبق – وبقرون طويلة – جميع هذه الإعلانات والوثائق إلى التأكيد على حقوق الإنسان، وبيان حرمة الاعتداء عليها، والعقوبات المترتبة على ذلك.

وبما ان حقوق الإنسان في الإسلام من الله سبحانه وتعالى فهي ثابتة لا تتبدل، وسامية لا تنحدر ، وعادلة لا تراعي مصالح فئة على حساب فئات، أما من جعل أفكار البشر مصدرًا لحقوق الإنسان؛ فلا شك أنه سيقع في الظلم، والجهل،

والطغيان، والضعف، والعجلة، وهي أمور من طبيعة الإنسان وفكره . وهذا هو وجه المقارنة الواضح بين حقوق الانسان في الغرب والتي مصدرها القانون الوضعي هو مجموعة من اللوائح والقوانين التي وضعها الإنسان التي تنظم حياة البشر وتيسر المعاملة بين البشر في كل زمان ومكان ويقوم على مثل أفكار كالعدالة و المساواة وهي قوانين خاضعة واختلاف الظروف والأحوال في المجتمعات الإنسانية. وبين حقوق الانسان وفق الشريعة الإسلامية، التي تظهر سلامة القاعدة وصحتها. إن الشريعة الاسلامية أساس الحق ومصدره، وهي شرع الله لبني الإنسان في كل زمان ومكان. واستناداً الى ذلك يكون للحق مصدر إلهي، رباني، بعيد كل البعد عن قيود الزمان والمكان، واختلاف الظروف والأحوال في المجتمعات الإنسانية.